# محاضرة 05

## المغرب العربي وتجارب الوحدة النضالية المشتركة 1919 . 1947. :

كثيرة هي الأدبيات التي أرخت لمشروع وحدة المغرب العربي([1])، ويهمنا في هذا الباب استعراض الجوانب الايجابية لتجارب الوحدة، وتوضيح أهمية بعدها المشترك على نضال الحركات الوطنية المغاربية .

لقد ارتبط نضال الحركات الوطنية المغاربية بفكرة الوحدة تأكيدا على الوحدة التاريخية والهوية المشتركة ومن أجل التضامن لمواجهة العدو المشترك، وتجسيدا لطموح عميق تؤمن به الشعوب وكثيرا من النخب السياسية، وقد أحس المغاربة بعد أن أخضعت تونس والمغرب للاحتلال الفرنسي بحجم التهديد الذي يطال كيانهم، وتطلعوا كغيرهم في بداية القرن العشرين إلى النهضة والتحرر، وارتبط وعي النخب السياسية بفكرة الأمة التي تحركها عقيدة التوحيد المرسخة دينيا وقوميا وكذا برد الفعل الوطني ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني في هذه المنطقة ضد محاولاته الهادفة للمس بالهوية الإسلامية والعربية لكيانه ([2]) ، وقد توحدت ردات الفعل الوطنية بفعل هذه العوامل ونضجت في دار الهجرة بعد أن زاحمها المستعمر.

### 1. مشروع الوحدة المغاربية 1919 . 1930

أنضجت النخب السياسية فكرة وحدة الكفاح في المغرب العربي مع بداية تبلور الحركات الوطنية المغاربية في أوائل القرن العشرين وتجمع كثير من المصادر أن رموز النخبة التونسية كانوا وراء الدعوة لوحدة المغرب العربي، وخاصة منهم الإخوة باش حمبه، إذ

---

[1] نذكر خصوصا اطروحتي محمد بلقاسم وعامر رخيلة

[2] محمد عابد الجابري: فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من اجل الاستقلال: **وحدة المغرب العربي** ندوة عقدت بباريس عام 1986، ط1، م د و ع، بيروت، 1986. ص . ص، 17-18.

أيد علي باش حمبه فكرة الجامعة الإسلامية وتعاون مع الخلافة العثمانية في اسطنبول لتخليص المغرب العربي من الاستعمار، وكان "...أول زعيم فكر في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان الكفاح، وقد مد يده للمقاومين الجزائريين وأسس أخوه في برلين لجنة تسمى الجنة التونسية _ الجزائرية، وفي الوقت نفسه اتصل برجال الحركة في مراكش "، كما نشطت نخبة من علماء تونس والجزائر في اسطنبول واسسوا لجان تحرير شمال افريقية، ومنهم الخضر حسين والمكي بن عزوز ، وكان للشيخ عبدالعزيز الثعالبي دور فاعل في توحيد الجهود المغاربية في اطار الجامعة الاسلامية، حيث أنشأ لها فرعا ي تونس وتعاون مع الشيخ صالح بن يحي الميزابي لتأسيس فرع في ميزاب، وكذا مع ابراهيم اطفيش واحمد توفيق المدني([3]).

وأدى انهزام الدولة العثمانية وحصول كثير من التغيرات السياسية المحلية والدولية إلى تجذر نضال النخب السياسية والتعويل أكثر على العمل الجماعي الموحد، فعندما اسس الثعالبي الحزب الدستور الحر في تونس عام 1921 دعا الى وحدة العمل المغاربي، وبدوره تبنى الأمير خالد فكرة وحدة المغرب العربي وربط علاقات وثيقة مع المناضلين التونسيين والمغربيين، فقد تعرف الأمير على المناضلين التونسيين منذ عام 1917 في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان بباريس، ونسق معهم سبل التعاون لتحقيق استقلال المغرب العربي، وخاصة الاستفادة من مبادرة ولسن ومؤتمر فرساي، وبعدها تواصلت المساعي مع الحزب الدستوري الحر من اجل بناء رابطة قوية وتوحيد الجهود لاستقلال شمال افريقيا، وهذا ما نلمسه من خلال الرسائل المتبادلة بين الزعيمين، وما كتبته جريدة الإقدام من دعوة للتضامن والوحدة المغاربية، وكذا التنسيق في المواقف الإصلاحية المرفوعة للادارة الفرنسية([4]).

وقد انتقل نضال المغاربة من اسطنبول إلى فرنسا والعواصم الأوربية، حيث أعطى ميلاد نجم شمال إفريقيا عام 1924الدفعة الحقيقة لمشروع الوحدة المغار بية، وقد شارك التونسيون والمغربيون والجزائريون في تأسيس النجم كحزب عام 1926 بباريس، وهو عبارة عن جمعية سياسية للدفاع عن المغاربة وتنسيق العمل المشترك بين مناضلي الأقطار

---

[3] انظر صالح الخرفي: الشيخ الثعالبي ، مرجع سابق، ص 67

[4] انظر محمد بلقاسم: الاتجاهات الوحدوية في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير ج الجزائر، ص 106

الثلاث، وساعد ظرف وجود جالية مغاربية نشيطة بفرنسا وانفتاحها على تيارات اليسار الفرنسي والحركات المناهضة للاستعمار في تعميق نضال النجم وتوسيع نشاطه وهكذا تناغم هذا التنظيم مع ثورة الريف ورسم أهداف ومطامح مغاربية واسعة .

وفي عام 1927 شارك مصالي الحاج والشادلي خير الله التونسي في مؤتمر بروكسل، ورفع مصالي مطالب مشتركة تخص بلدان شمال افر يقيا وا إذ نسجل أن النجم بدأ يأخذ طابعه الجزائري القطري منذ بداية ثلاثينيات القرن العشرين إلا أن موضوعات العمل المشترك ظلت تؤكد حضورها في برامجه وأهدافه، وقد تجند للدفاع عن شخصية المغرب العربي وهوية مكوناته الاجتماعية والإثنية مؤكدا إصراره على التقريب بين الحركات الوطنية بالدول الثلاث وتوحيد نشاطها النضالي، وهذا ما نلمسه في البيانات والمنشورات الموزعة، وصحيفتي النجم الإقدام والأمة([5])

وقد وجه النجم رسالة إلى مواطني المغرب الأقصى ذكر فيها بأهمية النضال المشترك وحتميته في مواجهة المستعمر الذي يترصد بأبناء الشمال الإفريقي، ومما جاء فيها: "... فأمام هذه الوضعية يبدو موقف مواطني شمال إفريقيا واضحا فإما أن يستكينوا تاركين الاستعمار يفعل بهم ما يشاء وفي هذه الحالة ستكون النتيجة انقراض جنسهم وا إما أن يستيقظوا من سباتهم ويستعدوا لاسترداد كل حقوقهم وحرياتهم المسلوبة ....لقد حان الوقت لنضع حدا للعمل المتعارض مع مصلحتنا المشتركة..."([6]).

وقد تفاعل النجم مع انتصارات حرب الريف ووقف أمام انكسارها باعتباره يؤمن بمبدأ الاستقلال واسترداد السيادة بالقوة، وقد ندد في بيان له عام 1927 بإقحام المستعمر للجزائريين والتونسيين في حرب الريف لمحاربة إخوانهم قصرا وأشاد ببطولة جهاد المغربيين ضد الغزاة الفرنسيين والاسبان وحث البيان الجزائريين والتونسيين على عدم التعاون مع الاستعمار ودعاهم للتوحد "وحدوا وجسدوا حركتكم لتكن لكم قيادة و احدة احتاطوا من

---

[5] انظر سعد الله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 404، وخير الدين شترة: اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، ص 126 وما بعدها

[6] انظر الرسالة المؤرخة في 7 سبتمبر 1927، قنانش محمد وقداش محفوظ: **نجم الشمال الإفريقي 1926، 1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، د و ج، لجزائر ،1984، ص144

ضباط الاستعلامات و مخبريهم إن الامبريالية تسعى لسلب أراضيكم، قاوموا من اجل المحافظة عليها...لنكن رجلا واحدا ضد حرب المغرب ومع استقلال هذا البلد ليحي استقلال المغرب وليعش الشمال الإفريقي حرا..."([7])

ووفق هذه المنطلقات والمبادئ ساهم نجم شمال إفريقيا في بلورة العمل المغاربي المشترك وأعطى نشاطه الحثيث ديناميكية لنضال الأحزاب الوطنية بالأقطار الثلاث.

وعلاوة على ذلك رعى النجم جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي كانت التجربة الرائدة في تطوير وتنسيق العمل المشترك وقد أكد هذا التنظيم الطلابي دفاعه المستميت عن الهوية المغاربية ومقومات شخصيتها التاريخية وغرس في النخب المثقفة الفكر الوطني- الوحدوي فأهلها لتكون قائدة للنضال الوطني وموجهة للعمل الوحدوي، وقد قامت بدور بالغ الأهمية في إقامة علاقات صداقة شخصية بين طلاب المغرب العر بي الذين كانوا يدرسون في الجامعات الفرنسية والذين سيصبحون فيما بعد في كل من المغرب والجزائر وتونس العمود الفقري للنخبة المسيرة في البلدان الثلاث قبل الاستقلال وبعده " ([8])

ويمكننا التأكيد أن هذا التنظيم الطلابي نقل فكرة المغرب العربي إلى أقطار الشمال الإفريقي، فقد طالب مؤتمره الخامس المنعقد بتلمسان بتوحيد التعليم في المغرب العربي و توجيهيه الوجهة التي تمكننه من "إيقاظ الوعي بوحدتنا الوطنية في شمال إفريقيا، الوحدة التي تؤسسها ذهنية موحدة ودين واحد وعواطف مشتركة " ويؤكد البيان على تجذر هذه الوحدة وتأصلها بالقول: "ويجب ألا يقال أننا نعمل على إنشاء وحدة مفتعلة كلا وألف كلا إننا لا نعمل إلا على بعث وحدة عقيدة سجلها التاريخ وهو ضامنها"([9])

وهكذا أفادت تجربة نجم شمال إفريقيا وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في إثراء فكرة المغرب العربي الموحد وبلورة تصور شامل لمواجهة العدو المشترك

---

[7] **المصدر نفسه**، ص 49 .

[8] انظر محمد عابد الجابري:**المرجع السابق**، ص19.

[9] انظر محمد ابراهيم الكتاني: مؤتمرات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين كانت مهدا لفكرة المغرب العربي، **العلم السياسي**، السنة 1، العدد 11(ماي 1983) ص 14 .

والتأكيد على الروابط الأخوية التي تجمع التونسيين والجزائريين والمغربيين والتي ساهمت في التقريب بين الاتجاهات السياسية والمشارب الحزبية لهذه الأقطار.

وقد ربط النجم مطالبه بحركة شكيب ارسلان العربية واستطاع أن يحدث تقاربا مغربيا مشرقيا خدمة لفكرة الأمة والقومية العربية، وهكذا تسنى لارسلان أن يوطد علاقة نضالية قوية مع السياسيين والمصلحين في المغرب العربي واستطاع أن يثمن العلاقة الموجودة بين الشخصيات الدينية والسياسية الجزائرية وبين الشخصيات الفاعلة في المغرب العربي مثل عبد العزيز الثعالبي في تونس وعلال الفاسي في المغرب وسليمان الباروني في ليبيا وأن يؤكد خيار التضامن الطبيعي المشترك الذي اجتهد المستعمر في محوه ([10]).

## 2 . الاتجاه الوحدوي خلال المرحلة 1930. 1939:

وخلال الثلاثيات تطور نشاط الحركات الوطنية والتي لم تتخلى عن مشروع الوحدة، وخاصة الاتجاهات المتقاربة فكريا، تيار الادماج والأحزاب الشيوعية كانت تعمل بتنسيق وتناغم بين الأقطار الثلاث، وكانت جمعية العلماء تتواصل وتتفاعل مع الحزب الدستوري بزعامة الثعالبي، والحزب الاصلاحي المغربي بزعامة المكي الناصري.

في حين كان اهم تنسيق يربطه حزب الشعب بحليفيه الاستقلاليين، الحزب الحر التونسي الجديد بزعامة بورقيبة وحزب الاستقلال المغربي بزعامة علال الفاسي، حيث تبادل الوفود والزيارات، التضامن عند حدوث الازمات، التفاعل الثقافي وغيرها من الانشطة، وقد ندد الدستوري الجديد بحملة الاضطهاد التي طالت مصالي عام 1937، وبدوره اعلن حزب الشعب تضامنه مع الحزب الدستوري الجديد وتنديده بالاضطهادات التي طالت زعماءه.

وتعد مرحلة الثلاثينيات من أخصب الفترات نضالا من أجل تكريس الوطنية المغاربية، وخاصة مع ازدياد المخاطر المحدقة: احتفال مؤوية احتلال الجزائر، المؤتمر الافخارستي المسيحي في تونس والظهير البربري في المغرب، حيث نلاحظ تزايد وتيرة

[10] انظر محمد الميلي :**المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب**، ط1 دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص . ص، 21.18

التقارب وربط العلاقات، والتأكيد على مشروع وحدة شمال إفريقيا، حيث ظل النجم يدعوا الى الوحدة والتضامن، ويندد بالسياسة الاستعمارية في تونس والمغرب، وبدورها أكدت النخب المغاربية وأحزابها على تفعيل مشروع الوحدة والتنسيق، ومع تنامي قوة الجبهة الشعبية في فرنسا استغلت الحركات الوطنية المغاربية الفرصة لتطالب بالاستقلال ووحدة المغرب العربي، ففي يوم 14 جويلية 1935 شارك النجم بعشرة ألاف من العمال والمهاجرين المغاربة في تجمع أحزاب اليسار الفرنسي، وفي سبتمبر 1935 شارك مصالي في المؤتمر الإسلامي الأوربي بجنيف وجدد مطالبه باستقلال شمال إفريقيا، ([11]) وفي فيفري 1937 جمع شكيب ارسلان مصالي والحبيب بورقيبة والفضيل الورتيلاني وحثهم على الوحدة المغاربية، وعندما حل النجم وتأسس حزب الشعب واصل نضاله في الإطار المغاربي، وقد كرس مظاهر التضامن مع الحزب الدستور التونسي وكتلة العمل المغربية، فشن إضرابات ومسيرات تنديدا باعتقال بورقيبة وعلال الفاسي والحوادث التي عرفتها شمال إفريقيا([12]) .

**النضال المغاربي خلال الحرب العالمية الثانية:**

خلال الحرب العالمية الثانية أدت التغيرات العميقة على المستوى المحلي والدولي إلى بلورة فكرة الكفاح المسلح في المغرب العربي، وقد ظهرت إمكانيات جديدة للعمل الوحدوي السياسي بين أحزاب الأقطار الثلاث عبر العواصم الأوربية والقاهرة .

ومنذ نهاية عام 1942 أنشأ المناضلون التونسيون في برلين مكتبا للمغرب العربي بالتعاون مع أمين الحسيني، قام بنشاط إعلامي ودعائي واسع هدف منه إلى "استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية"([13])، وقد اشرف هذا المكتب على تجنيد الجنود المغاربة في ألمانيا وا إصدار جريدة المغرب العربي وتنقل مناضلوه بين العواصم الأوربية لنشر أفكارهم واستقروا مدة في باريس لتأطير الجالية المغاربية هناك وتوعيتها بأهمية الوحدة وانتهاز الدعم الألماني لتحرير المغرب العربي، وما لبث أن

---

[11] انظر قنانش محمد الحركة الوطنية الجزائرية، ص 66

[12] انظر محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 439 وما بعدها

[13] انظر الرشيد إدريس: **بناء المغرب العربي**، ملتقى نظمه مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، أكتوبر 1981، المطبعة العصرية، تونس، 1983، ص 24.

أنشأت بباريس فرعا لمكتب المغرب العربي، غير أن انهزام ألمانيا وضع حدا لتلك الآمال العريضة، واضطر الرشيد إدريس ولحبيب ثامر وحافظ ابراهيم ورفاقهم للجوء إلى اسبانيا بين أوت 1944 وجوان 1946 وهو تاريخ انتقالهم إلى القاهرة لمواصلة نضالهم من أجل مشروع تحرير ووحدة المغرب العربي([14]).

وتزامنا مع هذا النشاط ظهرت في القاهرة "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" على يد محمد الخضر حسين والفضيل الورتيلاني([15]) وعدد من المناضلين التونسيين والمغربيين، وتمثلت أهدافها أساسا في العمل على تحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا وحث الشعوب العربية على نصر ة قضايا أقطار المغرب العربي التي تعد جزءا من الأمة العربية، وتأكد الطابع المغاربي لهذه الجبهة بانضمام رابطة الدفاع عن مراكش إليها والتحاق محي الدين القليبي ولحبيب بورقيبة وابن عبد الكريم الخطابي والمناضلين الآخرين الذين جذبتهم القاهرة بمكانتها وأهميتها السياسية الجديدة([16]).

وقد تنكرت فرنسا للحقوق الوطنية في المغرب العربي وارتكبت مضايقات وفضائع حثت المغاربة على مواصلة النضال، وفي هذا الإطار أسرع حزب الشعب الى دعوة الحزب الدستوري الحر وحزب الاستقلال الى لقاء في طنجة المغربية عام 1945، وذلك من اجل التنسيق وبعث مشروع الوحدة، المشروع الذي سيكتب له التجسيد في القاهرة عام 1947 بمساهمة من جامعة الدول العربية.

وهكذا فقد قطع مشروع الوحدة المغاربية مراحل محطات حاسمة، وذلك منذ الحرب العالمية الأولى والى غاية عام 1947 حيث ولد مكتب المغرب العربي كهيئة تنسيق عملية، جمعت الأحزاب الوطنية المغاربية وكرست طموحها للوحدة والاستقلال.

---

[14] انظر محمد بلقاسم : **المرجع السابق**، ص 321.

[15] عالم تونسي من أصول جزائرية، نشأ في تونس، ودرس في الزيتونة والأزهر، ناضل من أجل تحرير تونس والجزائر، وعمل على جمع كلمة المناضلين المغاربة في مصر، تولى مشيخة الأزهر الشريف.

[16] انظر بتفصيل عن هذه اللجنة ما كتبه أمينها العام الورتيلاني، الفضيل الورتيلاني:**الجزائر الثائرة**، دار الهدى، عين مليلة، 1992، ص 276 وما بعدها.